يعبونهم كحب الله فانكر هذا التشبيه عليهم وهو اصل عبادة الاصنام ونظير هذا قوله
سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون اي يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلا وشبيها قال ابن عباس
يريد عدلوا بي من خلقي الحجارة والاصنام بعدان اقروا بانعمتي وربوبيتي وقال الزجاج
اعلم الله سبحانه انه خالق ما ذكر في هذه الاية وان خالقها لا شيء مثله واعلم ان
الكفار يجعلون له عديلا والعدل التسوية يقال عدل الشيء بالشيء اذا ساواه و
معنى يعدلون به يشركون به غيره قال مجاهد قال الاحمر يقال عدل الكافر بربه
عدلا وعدولا اذا ساوى به غيره فعبده وقال الكسائي عدلت الشيء بالشيء اعدل
له عدولا اذا ساويته به ومثله قوله تعالى عن هؤلاء المشبهين انهم يقولون في
النار لاصنامهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين فاعترفوا
انهم كانوا في اعظم الضلال وابينه اذ جعلوا لله تعالى شبيها وعدلا من خلقه سووهم
به في العبادة والتعظيم وقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما فاعبده و
اصطبر لعبادته هل تعلم له سميا قال ابن عباس شبيها ومثلا وهو من يساميه
وذلك نفي عن المخلوق ان يكون مشابها للخالق ومماثلا له بحيث يستحق العبادة و
التعظيم ولم يقل سبحانه هل تعلمه سميا او شبيها بغيره فان هذا لم يقله احد بل
المشركون المشبهون جعلوا بعض المخلوقات مشابها له مساميا وندا وعدلا
فانكر عليهم هذا التشبيه والتمثيل وكذلك قوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال
الامثال فنهاهم ان يضربوا له مثلا من خلقه ولم ينههم ان يضربوا هو مثلا
لخلقه فان هذا لم يقله احد ولم يكونوا يفعلونه فان الله سبحانه اجل واعظم
واكبر من كل شيء في فطر الناس كلهم ولكن المشبهون المشركون يغلون فيمن يعظمونه
فيشبهونه بالخالق والله سبحانه اجل في صدور جميع الخلق من ان يجعلوا
غيره اصلا ثم يشبهونه بغيره فان الذي يشبهه بغيره ان قصد تعظيمه لم يكن
في هذا تعظيم لانه مثل اعظم المعظم عاهو دونه بل بما ليس بينه وبينه شبه في
العظمة والجلال له وعاقل لا يفعل هذا وان قصد التنقص شبهه بالناقصين
المذمومين لا بالكاملين الممدوحين ومن يعلم ان اثبات صفات الكمال له لا
يتضمن التشبيه لا بالكاملين ولا بالناقصين وان نفي تلك الصفات يستلزم تشبيهه

لا يعقل

بالنقص

بالنقص الناقصين فانظر الى الجهمية واتباعهم جاوا الى التشبيه المذموم فاعرضوا عنه صفحا وجاوا الى الكمال والمدح فجعلوه تشبيها وتمثيلا عكس ما يثبته القرآن وجاء به من كل وجه ومن هذا قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد هو سلب عن المخلوق مكافاته ومماثلته للخالق سبحانه ولم يقل ولم يكن هو كفوا لاحد فينفي عن نفسه مشابهته للمخلوق ومكافاته له اذ كان ذلك بين واظهر من ان يحتاج الى نفيه وسر ذلك ان المقصود ان المخلوق لا يماثله سبحانه في شيء من صفاته وخصائصه واما كونه سبحانه هو لا يماثل المخلوق ولا يشابهه ولا هو مثله ولا كفو فليس فيه مدح له فانه لو مدح بعض الملوك بانه لا يشبه الحيوانات ولا الجمادات و لا الخشب ونحو ذلك لم يعد هذا مدحا ولا ثناء عليه ولا كمالا له بخلاف ما اذا قيل لا تجعل لله ندا ولا كفوا ولا شبيها من رعيته تعظمه كتعظيمه وتطيعه كطاعته فانه ليس في رعيته من يساميه ولا يماثله ولا يكافيه كان هذا غاية المدح و كذلك قوله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انما قصد به نفي ان يكون معه شريك او معبود يستحق العبادة والتعظيم كما يفعله المشبهون والمشركون ولم يقصد به نفي صفات كماله وعلوه على خلقه وتكلمه بكتبه وتكليمه لرسله ورؤية المؤمنين له جهرة بابصارهم كما نرى الشمس والقمر في الصحو فانه سبحانه انما ذكر هذا في سياق رده على المشركين الذين اتخذوا من دونه اولياء يوالونهم من دونه فقال والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فتامل كيف ذكر هذا النفي تقريرا للتوحيد وابطالا لما عليه اهل الشرك من تشبيه المتهم واوليائهم به حتى عبدوه معه فحرفوا المحرفون وجعلوها اثر سالم في نفي صفات كماله وحقائق اسمائه وافعاله وهذا التشبيه الذي ابطله الله سبحانه نفيا ونهيا هو اصل شرك